مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التعبئة الشعبية للأحزاب السياسية
دراسة لحالات ثلاث

قسم الأبحاث

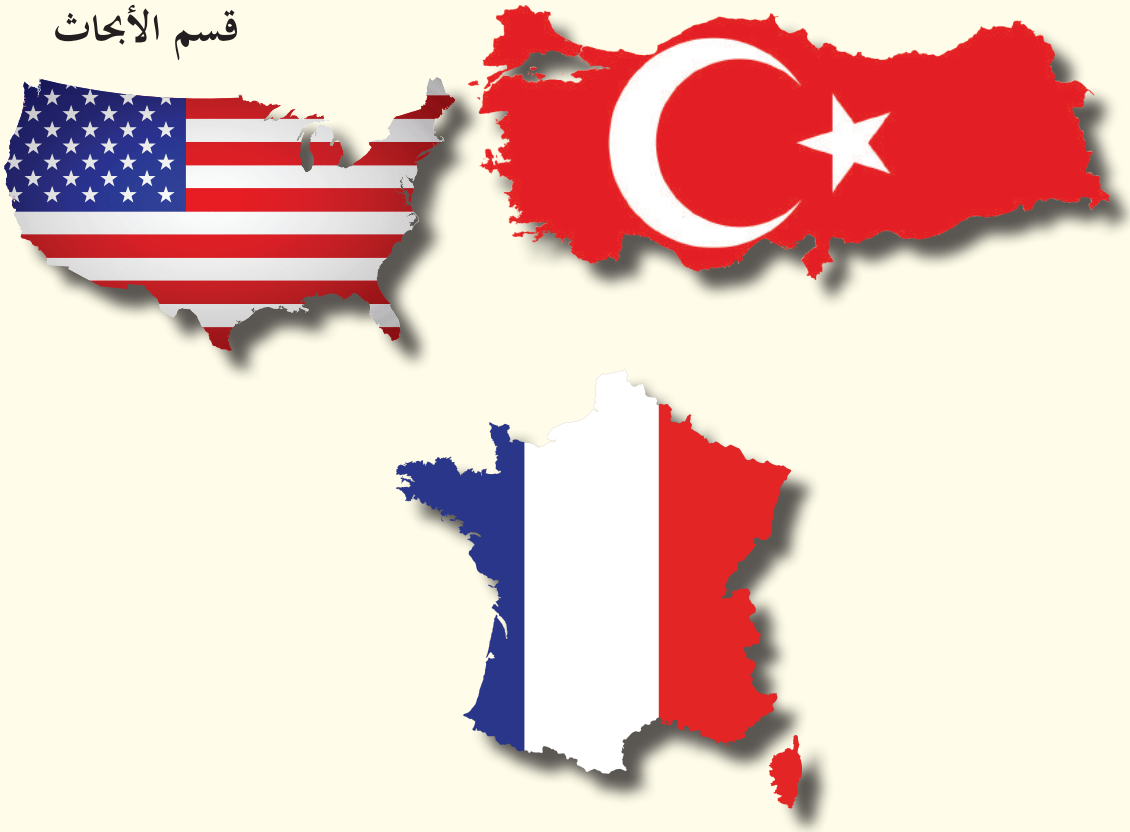

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2019

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

التعبئة الشعبية للأحزاب السياسية
دراسة لحالات ثلاث

قسم الأبحاث

المقدمة

تمرّ السياسة العالمية اليوم بمرحلة من الاضطرابات، إذ يجري في العديد من البلدان استبدال الأحزاب، التي تسلمت مقاليد السلطة لسنوات وعقود بأحزاب جديدة تدفع باتجاه تحقيق أجندات بديلة غالباً ما تكون مناهضة للمؤسسة القديمة. ويحدث في أحيانٍ أخرى أن تدفع الأحزاب بمرشحين مخالفين للاتجاهات السائدة، ويحصلون بذلك على تعاطف الناخبين في هذه العملية.

تتناول هذه الورقة دراسة لحالات ثلاث، هي: حزب العدالة والتنمية في تركيا عام 2002، وحزب الجمهورية إلى الأمام في فرنسا عام 2017، والحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة عام 2008. وتقدم رؤىً مختلفة بشأن كيفية تعبئة الدعم الشعبي والحفاظ عليه، وإن كانت تقدم قصصاً مختلفة لأسباب نجاحها، ابتداءً بوسائل التواصل الاجتماعي، وليس انتهاءً بالمجتمع المدني والديمقراطية المباشرة.

أولاً: تركيا: حزب العدالة والتنمية:

يُعدّ حزب العدالة والتنمية (Adalet ve Kalkınma Partisi) حزباً سياسياً جديداً نسبياً، تأسّس في عام 2001، ثم فاز بعد ذلك في أول انتخابات في عام 2002. وقد ازدادت شعبية الحزب بثبات، وإن كان قد تعرض إلى نكسة انتخابية يسيرة في انتخابات حزيران 2015، لكنه عاد ليعوّضها في انتخابات تشرين الثاني 2015، وانتخابات حزيران 2018، وتشير إحصائيات الحزب للعام 2018 إلى وجود 10 ملايين عضو في صفوفه[1].

لقد كانت قدرة الحزب في الحفاظ على النجاحات الانتخابية على الرغم من العديد من الأزمات والمشكلات في الاقتصاد أو السياسة الخارجية مثالاً رائعاً على المرونة في بلد يُعرف عنه

1- ”Adalet ve Kalkınma Partisi”, T.C. Yargıtay Cumhuriyet Başsavcılığı, 10-July-2018 (Last Updated), <https://www.yargitaycb.gov.tr/sayfa/faaliyette-olan-siyasi-partiler/1095>, [Accessed 15-October-2018].

بروز وتلاشي الأحزاب السياسية بسرعة. ويعزو الكثيرون النجاح المتحقق إلى الشخصية الكاريزمية لمؤسس الحزب رجب طيب أردوغان، وكثيراً ما صوَّر الخطاب السياسي للمعارضة التركية مؤيدي أردوغان على أنهم سُذَّج أو جهلة؛ لاستمرارهم في دعمه والتصويت له. غير أن نجاح أردوغان يعود إلى تأريخ أقدم.

يتطابق نهج هذه الحركة تقريباً مع نهج المسلمين المحافظين وسكان الأرياف الذين لم تكن السياسات العلمانية ذات الطابع الغربي لمؤسس البلاد مصطفى كمال أتاتورك تلائمهم، والذين تكوَّنت لديهم قناعة للتصويت لأحزاب بديلة عن حزب الشعب الجمهوري (Cumhuriyet Halk Partisi) الذي أسَّسه أتاتورك. فكانت تلك الأحزاب –بدءاً بالحزب الديمقراطي الذي سحبت إجازته– عرضة لضغط قانوني من قبل الجيش التركي الذي يعد نفسه المدافع عن العلمانية، وحظر نهائياً فيما بعد. لقد منعت فترات القمع تلك الحركة من الوصول إلى هرم السلطة السياسية، لكنها منحتها في الوقت نفسه هوية ذاتية وحجة اضطهاد سيستمر أردوغان في استغلالها.

وقد وجدت الحركة لنفسها مجالاً سياسياً أكبر للعمل في أعقاب العنف السياسي في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، إذ اتسمت هذه الحقبة بتصاعد الهجمات بين الشيوعيين الاشتراكيين والقوميين؛ مما أدى إلى قيام السلطات الحكومية والجيش التركي بقمع الطرفين. وخرج المجتمع المدني الإسلامي الأصولي نسبياً ونما مع تراجع الأطراف الأخرى سياسياً[2]. ويمكن القول واقعاً إن المجتمع المدني الإسلامي في تركيا قد جاء لملء الفراغ الذي تركته الجماعات السياسية الأخرى.

لقد مثَّل هذه الحركة في التسعينيات حزب الرفاه (Refah Partisi) الذي كان رجب طيب أردوغان عضواً فيه، وأصبح الحزب الذي تأسس في عام 1983 أكبر حزب تركي في عام 1996، قبل أن يُجبَر على التنازل في عام 1997، وحلِّه في عام 1998، وحظر العديد من أعضائه –ومن ضمنهم أردوغان– من ممارسة العمل السياسي[3]. وعلى النحو نفسه حلّ حزب

2 -Malashenko, Alexey; Shlykov, Pavel. ""Anti-Kemalist" Revolution: Where is Turkey Going?", Carnegie Endowment for International Peace, 22-September-2011, <https://carnegieendowment.org/2011/09/22/anti-kemalist-revolution-where-is-turkey-going-event-3479>, [Accessed 15-October-2018]

3- Friedman, Dov. "The Causes of the Coup Attempt in Turkey: A History of the Usual Suspects", War on the Rocks, 21-July-2016, <https://warontherocks.com/2016/07/the-causes-of-the-coup-attempt-in-turkey-a-history-of-the-usual-suspects/>, [Accessed 15-October-2018]

الفضيلة (Fazilet Partisi)؛ فأثرت كل تلك الأحداث بنحو كبير على الطريقة التي ينظر بها الإسلاميون الأتراك إلى السلطة السياسية[4].

ثم برز إلى الساحة السياسية حزبان آخران هما: حزب السعادة (Saadet Partisi)، وحزب العدالة والتنمية. وبينما بقي حزب السعادة موالياً لأيديولوجية الرؤية الوطنية (Millî Görüş) -التي تبناها في السابق حزب الرفاه-، سلك حزب العدالة والتنمية -الذي أسسه أردوغان في عام 2001- طريقاً أكثر براغماتية. وصف حزب العدالة والتنمية نفسه بأنه حزب تقليدي يميل إلى يمين الوسط بنحو مشابه لحزب المحافظين في المملكة المتحدة أو الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة. وإن نظرة الحزب للإسلام لم تكن أيديولوجية؛ مما سمح للحزب بتصوير نفسه كحزب معتدل لا يتعارض مع مبادئ العلمانية. وضمّ الحزب في صفوفه مجموعة من المؤيدين الأساسيين من التكنوقراط والمحاربين القدامى في المدن لتعزيز مؤهلات الحكم، وكان ذلك ما حصل بالفعل إذ اصبح أردوغان -عمدة إسطنبول السابق- العلامة المميزة للحزب.

كان توقيت حزب العدالة والتنمية مناسباً جداً، لأنه جاء بعد أزمة اقتصادية في عام 2001، وهي الأزمة التي حدثت نتيجة انهيار الائتلاف الحكومي في عام 1997، ونزعت عن الأحزاب الرئيسة التي شاركت فيها مصداقيتها وأصابتها بالإحباط. وقد استغل حزب العدالة والتنمية -خلال حملته الانتخابية- هذا الوضع، مؤكداً أن إصلاح الاقتصاد هدفه الأساس. وهكذا، ففي الوقت الذي جرت فيه الانتخابات في عام 2002، كان لدى حزب العدالة والتنمية مجموعة كبيرة من نشطاء المجتمع المدني وقاعدة عريضة من المؤيدين على أهبة الاستعداد للتصويت لما يمثله الحزب، وانضم إليهم أولئك الذين شعروا بخيبة الأمل من الحكومات السابقة. ومن المحتمل أيضاً أن يكون أداء الحزب قد استفاد من عدم اكتراث الناخب في المعارضة. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من ذلك، فقد حصل حزب العدالة والتنمية على 34 % فقط من الأصوات، مؤشراً إلى حقيقة مفادها أن الانتصار الأولي لحزب العدالة والتنمية كان بسبب ضعف المعارضة، وليس بسبب قوة الحزب[5].

وتبقى الكيفية التي زاد بها حزب العدالة والتنمية من الدعم له في السنوات المتداخلة وحصوله على الدعم الشعبي، مجالاً لتكهنات حادة بين المراقبين للشأن التركي. ويميل المحللون الغربيون -على وجه الخصوص- إلى المبالغة في التشديد على كاريزما الرجل القوي «أردوغان»، غير أنه من المنصف

4- المصدر السابق.

5- "Erdogan triumphs—with plenty of help from his enemies", The Economist, 7-November-2002, <https://www.economist.com/europe/2002/11/07/erdogan-triumphs-with-plenty-of-help-from-his-enemies>, [Accessed 15-October-2018]

القول: إن الحزب قد نفذ في سنواته الأولى إصلاحات اقتصادية كبيرة. هذا فضلاً عن تحسين العلاقات مع الدول المجاورة، وعملية السلام مع الأكراد في نهاية العقد الأول من القرن الحالي، وهو ما مكَّن أردوغان من الحصول على أصوات كردية مهمة[6].

ولا ينبغي أن ننسى أن أردوغان هو في الواقع موغل المعرفة بالسياسة التركية، ولم يتردد في استخدام تكتيكات لتشويه سمعة المعارضة، أو قمع الصحافة، أو التقرب من ومواجهة مخاوف الشعب التركي في أوقات الأزمات[7]. وفضلاً عن اكتساب أردوغان خبرة كبيرة في كسب مواقف الفصائل السياسية غير المتوافقة معه، فقد كانت عملية السلام الكردية –على سبيل المثال– تهدف إلى كسب أصوات الأكراد؛ مما أدى إى استبعاد التصويت القومي، الذي كان يمثله في ذلك الوقت حزب الحركة القومية (Milliyetçi Hareket Partisi).

وحينما انهارت عملية السلام في عام 2015 شكّل أردوغان تحالفاً مع ذلك الحزب، بنحو يضمن بقاء كتلته السياسية على الرغم من خسارة حزب العدالة والتنمية لبعض الأصوات[8]، غير أن نسبة المتظاهرين العفويين المؤيدين لإردوغان –أو أنهم فقط مناهضون للانقلاب– في تموز 2016 تشير إلى أن الكثير من الأتراك القوميين لا يؤيدونه، لكنهم يعارضون البديل[9].

وسنرى ما إذا كان حزب العدالة والتنمية سيستطيع الحفاظ على دعمه الشعبي، فعلى الرغم من أن انتخابات عام 2018 قد انتهت بانتصار كتلة أردوغان، إلا أن حزب العدالة والتنمية قد خسر نسبة كبيرة من الأصوات لصالح شريكه في الائتلاف، وهو حزب الحركة القومية. أما حزب الخير القومي (IYI Parti) الذي تأسَّس حديثاً، فقد حصل على نسبة 10 % من الأصوات، ولاسيما في أوساط الشباب القوميين.

6- Kadercan, Burak. “The Year of the Gray Wolf: The Rise of Turkey’s New Ultranationalism, War on the Rocks, 16-July-2018, <https://warontherocks.com/2018/07/the-year-of-the-gray-wolf-the-rise-of-turkeys-new-ultranationalism/, [Accessed 15-October-2018]
7- Ozcelik, Burcu. “The AKP’s Resilience in Turkey”, Carnegie Endowment for International Peace, 3-November-2015, <carnegieendowment.org/sada/61855>, [Accessed 15-October-2018]
8- Kadercan, Burak. “The Year of the Gray Wolf: The Rise of Turkey’s New Ultranationalism, War on the Rocks, 16-July-2018, <https://warontherocks.com/2018/07/the-year-of-the-gray-wolf-the-rise-of-turkeys-new-ultranationalism/, [Accessed 15-October-2018]
9. Unver, Akin; Alassaad, Hassan. “How Turks Mobilized Against the Coup”, Foreign Affairs Magazine, 14-September-2016, <https://www.foreignaffairs.com/articles/2016-09-14/how-turks-mobilized-against-coup>, [Accessed 15-October-2018]

ويشير التنامي في أعداد القوميين إلى أهمية خاصة، في حال أخذنا في الاعتبار أن حزب الخير القومي قد تعرض لرقابة مُشدَّدة من قبل وسائل الإعلام التركية، في حين لم ينظم حزب الحركة القومية مسيرة واحدة[10]. ويمكن في نهاية المطاف، ربط نجاح استراتيجية حزب العدالة والتنمية الشعبية بوجود معارضة غير مقبولة، ومجموعة من نشطاء المجتمع المدني نمت على مدى عقود، وجاذبية حقيقية مردُّها إلى أسباب أيديولوجية أو تأريخية، وفطنة أردوغان السياسية الخاصة.

ثانياً: فرنسا: حزب الجمهورية إلى الأمام:

أُسّس حزب الجمهورية إلى الأمام (La République En Marche) من قبل الوزير في الحكومة –آنذاك– إيمانويل ماكرون في عام 2016. وعلى الرغم من حداثة عهده بالمسرح السياسي كحزب، فقد تمكن من الفوز في الانتخابات الرئاسية الفرنسية عام 2017 بنسبة 66.1%، ضد حزب الجبهة الوطنية (Front National) الذي تتزعمه السيدة مارين لوبان، يضم الحزب في صفوفه أكثر من 400،000 عضو؛ مما يجعله أكبر بكثير من أي حزب آخر في فرنسا[11].

ويعزى انتصار حزب الجمهورية إلى الأمام –ولاسيما بعد وقت قصير من تأسيسه– إلى قدرته على تحشيد الدعم الشعبي، إذ قدم الحزب نفسه منذ البداية، ليس كحزب سياسي بل كحركة نشطة. وليس هذا اتجاهاً فريداً على الساحة الأوروبية، إذ سبقته في ذلك أحزاب أخرى مثل منظمة بوديموس الإسبانية، وحركة النجوم الخمس الإيطالية، وفصيل جيريمي كوربين التابع لحزب العمال في المملكة المتحدة، وجميعها قدمت نفسها كحركات في السنوات الأخيرة. غير أن منظمة بوديموس الإسبانية، وحركة النجوم الخمس الإيطالية، وفصيل جيريمي كوربين التابع لحزب العمال في المملكة المتحدة، نمت بشكل عضوي من المجموعات القاعدية المعادية للمؤسسة، بخلاف حزب الجمهورية إلى الأمام الذي تأسَّس خصيصاً من أجل أن يترشح ماكرون للرئاسة الفرنسية[12]. هذا فضلًا عن أن ماكرون كان في حينها وزيراً في الحكومة وغير معروف نسبياً من قبل الجمهور، ولم يكن شخصاً من خارج المؤسسة السياسية الحاكمة.

10. Kadercan, Burak. “The Year of the Gray Wolf: The Rise of Turkey’s New Ultranationalism, War on the Rocks, 16-July-2018, <https://warontherocks.com/2018/07/the-year-of-the-gray-wolf-the-rise-of-turkeys-new-ultranationalism/, [Accessed 15-October-2018]

11 -”La carte des comités”, En Marche, October 2017, <https://en-marche.fr/le-mouvement/la-carte>, [Accessed 16-October-2018]

12- Chwalisz, Claudia. “En Marche: From a Movement to a Government”, Carnegie Endowment for International Peace, 6-April-2018, <carnegieendowment.org/publications/?fa=75985>, [Accessed 6-April-2018]

على الرغم من كل تلك العوامل، فقد بذل حزب الجمهورية إلى الأمام جهودًا كبيرة لتعزيز مصداقيته كمُمثل قاعدي، وتحاشى ماكرون تدشين حزبه بطريقة من الأعلى الى الأسفل في مواقف سياسية مُحددة سلفاً، وعقد الحزب محادثات واسعة النطاق مع المواطنين، فيما تمت تسميته «الزحف الكبير»، عندما قام حوالي 5000 متطوع بإجراء مقابلات مُعمَّقة لمدة 45 دقيقة مع 25،000 شخص في عموم فرنسا تناولت الحديث عن آرائهم حول أوضاع البلاد، ومشكلاتها، والتحديات التي تواجه المجتمعات، والمستقبل الذي يرغبون به. وقد تمت تصفية تلك البيانات من قبل خبراء في الحزب[13]، في إجراء مشابه لاستطلاعات الرأي التي أجرتها أحزاب أخرى ولكن بصيغة أكبر بكثير؛ مما أدى إلى نشر وثيقة تشخص مشكلات فرنسا[14]. ولم يحدث من قبل أن نشر أي حزب أو جهة حكومية مثل هذه الوثيقة؛ فساعدت مدخلات الجمهور في تشكيل ميثاق الحزب للخروج بسياسات كان لها صدى في أوساط الناخبين الذين فقدوا الثقة بالأحزاب القديمة.

وقد تميّز حزب الجمهورية إلى الأمام أيضاً بسياساته المنفتحة، فقد كان الحزب منفتحاً أمام أي شخص بغض النظر عن انتمائه الحزبي، وعمل بتغيير الأنموذج من نموذج عضوية «نشط» إلى أنموذج عضوية «ملتزم». وعلى العكس من الأحزاب الأخرى، لم يكن مطلوباً من العضو تقديم تبرعات نقدية للحزب، بل كان يُطلب منه أن يوافق فقط على ميثاقه، ويقدم معلومات التواصل معه. وأتاح ذلك للحزب الحصول على كميات كبيرة من بيانات الناخبين من خلفيات مختلفة بتكلفة منخفضة جداً. وسمح أنموذج الانضمام المفتوح للحزب باكتساب كميات كبيرة من التبرعات الصغيرة التي تراكمت بفضل ذلك الأنموذج. وقد أشار برونو بونيل –مُنسِّق الحزب في مدينة ليون– إلى أساليب الحزب تلك على أنها نوع من أسلوب حرب العصابات[15].

وحافظ حزب الجمهورية إلى الأمام على مصداقيته بسبب ماكرون الذي تحاشى التمسك بالمحرمات السياسية الفرنسية القديمة –مثل تحدي النقابات العمالية– وتحدَّث ماكرون –خلال حملته

13- Chwalisz, Claudia. “En Marche: From a Movement to a Government”, Carnegie Endowment for International Peace, 6-April-2018, <carnegieendowment.org/publications/?fa=75985>, [Accessed 6-April-2018]
14- “Le Diagnostic du pays”, En Marche, 20-October-2016, <https://en-marche.fr/articles/actualites/le-diagnostic>, [Accessed 16-October-2018]
15- Chisafis, Angelique. “The grassroots ‘guerilla army’ powering Macron’s French election battle”, The Guardian, 3-April-2017, <https://www.theguardian.com/world/2017/apr/03/emmanuel-macron-french-presidential-candidate-grassroots-movement>, [Accessed 17-October-2018]

الانتخابية– بصراحة عن الحاجة إلى إصلاح الخدمات العامة في مواجهة معارضة شديدة[16]. وعلى الرغم من أن ذلك قد أثار بعض ردود الأفعال ضد ماكرون، إلا أنه موقفه بشكل عام قد قُورن بموقف جاك شيراك، الذي وعد في عام 1995 برأب الصدع الاجتماعي، من دون تقديم وصف للمواقف السياسية، لكنه –أي شيراك– طرح فيما بعد تدابيراً صارمة لخفض الإنفاق العام؛ مما أدى الى شعور العديد من الناخبين بالخيانة والخروج إلى الشوارع[17]. أما في حالة ماكرون، فيبدو أن رهانه قد آتى أُكُله، وتمكن من إقناع معظم النقابات العمالية بقبول إصلاحاته بعد الانتخابات، وما كان سخطاً هناك قد تلاشى تدريجياً[18].

سيكون من الخطأ التعبير عن نصر ماكرون وحزب الجمهورية إلى الأمام من دون وضع سياق للتطورات الأوسع في أوروبا والعالم، فقد جرت الانتخابات الفرنسية على خلفية ما يشار إليه باسم «الموجة الشعبوية» في جميع أنحاء العالم، ولاسيما التصويت على خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، وانتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة. وبطبيعة الحال، كانت مارين لوبان من حزب الجبهة الوطنية، وهي الخصم الرئيس لماكرون– جزءاً من هذه الموجة؛ كونها مرتبطة بالحركات اليمينية المتطرفة في أوروبا. تحركت الحركات الشعبية، بعد التطورات في عام 2016؛ لمواجهة الحركات اليمينية المتطرفة والشعبوية في جميع أنحاء أوروبا من خلال مواجهة سردياتها وتقديم رؤية إيجابية لأوروبا؛ وأدى ارتباط ماري لوبان باليمين المتطرف إلى تحفيز هؤلاء النشطاء، ودفعهم إلى دعم خصومها[19]، ولم تكن محاولاتها لنزع طابع المكر عن حزبها فاعلة، مثلما لم تكن الكثير من سياساتها حاسمة وذات مصداقية[20].

وهكذا، فإن انتصار حزب الجمهورية إلى الأمام وصعود إيمانويل ماكرون إلى سدة الرئاسة يمكن أن يُعزى إلى عدة عوامل، فقد سطع نجم الحزب –كما هو الحال مع حزب العدالة والتنمية–

16- Pedder, Sophie. “Macron’s Reformist Victory”, Foreign Affairs Magazine, 24-July-2018, <https://www.foreignaffairs.com/articles/europe/2018-07-24/macrons-reformist-victory>, [Accessed 16-October-2018]

17– المصدر السابق.

18– المصدر السابق.

19- De Gruyter, Caroline. “The Rise of Europe’s Antipopulists”, Carnegie Endowment for International Peace, <carnegieendowment.org/2017/04/25/rise-of-europe-s-antipopulists-pub-68764>, [Accessed 25-April-2017]

20 - Goldhammer, Arthus. “Macron’s Victory”, Foreign Affairs Magazine, 7-May-2017, <https://www.foreignaffairs.com/articles/france/2017-05-07/macrons-victory>, [Accessed 16-October-2018]

في وقت فقدت فيه الأحزاب التقليدية ومعارضيها المصداقية، على الرغم من أن الأسباب في السياق الفرنسي تختلف عن السياق التركي. وعلى العكس من حزب العدالة والتنمية التركي، لم يكن لحزب الجمهورية إلى الأمام وصول إلى حركة المجتمع المدني الموجودة من قبل، التي نمت على مر السنين، وكانت قادرة على التحشيد لحزب معين من خلال نظام مفتوح وشامل يجعل الناخبين يشعرون أن صوتهم مسموع، في الوقت الذي يُسمح فيه للحزب بتعديل خطابه من أجل أن يتناغم بنحو أفضل مع توجهات الناخبين. كما تمكن الحزب أيضاً من تعزيز مصداقيته بين النشطاء المناهضين للشعبوية واليمين المتطرف، والذين لم يصوتوا بالضرورة لحزب الجمهورية إلى الأمام لأسباب مختلفة.

ويبدو الآن أن التحدي الرئيس الذي يواجهه حزب الجمهورية إلى الأمام هو التوفيق بين أنموذجه من الأعلى إلى الأسفل وأنموذج الحزب السياسي الهرمي. ويواجه ماكرون أيضاً ضغوطاً خاصّة بالإصلاحات التي دفع باتجاهها بسبب التطورات في أوروبا والعالم، التي لا تقع ضمن نطاق سيطرته؛ وقد تؤدي إلى الإضرار بمصداقيته.

ثالثاً: الولايات المتحدة: الحزب الديمقراطي:

على العكس من حزب العدالة والتنمية وحزب الجمهورية إلى الأمام، فإن الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة ليس حزباً جديداً، إذ إنه يدير الساحة السياسية الأمريكية مع الحزب الجمهوري. غير أن انتخاب مرشح الحزب الديمقراطي باراك أوباما في عام 2008 كان مهماً، لأنه –أي أوباما– كان ينظر إليه في السابق على أنه مرشح غير متوقع. وشهدت حملة الرئيس أوباما أول استخدام مُنسَّق لوسائل التواصل الاجتماعي التي انتشرت في ذلك الوقت؛ مما سمح لأوباما بتعبئة المؤيدين الذين كانوا في السابق غير مبالين.

جاء انتخاب أوباما بعد فشل الحزب في الفوز بالانتخابات الرئاسية في عام 2004، على الرغم من الآثار السلبية للغزو الأمريكي للعراق في عام 2003. بدأ الحزب –في وقت مبكر من عام 2006– التعرف على أسباب خسارته في عام 2004، وتوصل إلى استنتاج مشترك مفاده أنه فشل في وضع استراتيجية متماسكة يمكنها أن تصل إلى فئاته المثالية والبراغماتية؛ لذلك فقد حدد الحزب القضايا التي تحظى بالأولوية بين أعضائه والقضايا ذات الأهمية الثانوية، وبرز في ذلك الوقت كل من باراك أوباما وهيلاري كلنتون كأبرز شخصيات الحزب الديمقراطي التي يمكنها تمثيل خيوط الحزب المثالية والبراغماتية[21].

21 -The Progressive Left: An Emerging Strategy", Stratfor, 16-June-2006, <https://worldview.stratfor.com/article/progressive-left-emerging-strategy>, [Accessed 17-October-2018]

يوجب النظام الأمريكي على الحزبين ترشيح مرشح واحد للرئاسة من خلال لجنتيهما الوطنيتين، وتسمح هذه الأحداث –التي تسمى بالمؤتمر الوطني– لأعضاء الحزب بالتصويت على مرشح الحزب، وهو ما يعطي النظام الأمريكي آلية تشاركية فريدة للأعضاء في الحزب من خلال القاعدة الشعبية المساهمة فيه. ومع حلول موعد انعقاد المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي في عام 2008، كانت حملة باراك أوباما قد دخلت بالفعل في خضم الحملة الانتخابية.

ويُعزى نجاح أوباما إلى عدد من العوامل، أهمها: مهاراته الخطابية والبلاغية. ومثل معظم الأحزاب الكبيرة، يوجد داخل الحزب الديمقراطي عدة فصائل داخلية، بنحو يغطي المواقف السياسية للأطياف المختلفة، والتحدي في أي من هذه الأطراف يكمن في الحصول على دعم جميع أو ما يكفي منها. ويشير المحللون إلى أن سياسات أوباما المكتوبة لم تكن مختلفة تماماً عن خصومه داخل الحزب مثل هيلاري كلينتون، أو سلفه الجمهوري جورج دبليو بوش، أو منافسه جون ماكين، إلا أنه تمكن من استخدام مهاراته الخطابية والبلاغية كي يوصل لجمهوره حقيقة مفادها أنه سيتابع بعض السياسات والمواقف السياسية[22]، واستطاع تجنب الوقوع في المزالق التي وقع فيها العديد من الرؤساء الأمريكيين، حيث يظل تأثير العديد من المواقف مثل السياسة الخارجية مستمراً بنحو مفاجئ عبر الإدارات على الرغم من موقف الرئيس أو حزبه[23]. وجاء ذلك مناقضاً لموقف هيلاري كلينتون التي كانت أكثر إثارة للخلاف بسبب دعمها السابق لحرب العراق، وعدم امتلاكها الكاريزما إلى حد ما؛ وهكذا أصبح أوباما مرشح الحزب الديمقراطي بعد أن حصل على 72 % من الأصوات.

وما أن أصبح أوباما مرشح الديمقراطيين الوحيد، حتى وظف تلك المهارات نفسها على المستوى الوطني، وهو حريص على كسب الدعم ليس فقط من مؤيديه الأساسيين ولكن أيضاً من المنافسين والمعارضين، قام أوباما –خلال الحملة الانتخابية وبعدها– بتجنيد العديد من المسؤولين الذين عملوا مع هيلاري كلينتون، وجورج دبليو بوش.

وقد عُززت هذه المهارات باستخدام حملة أوباما غير المسبوقة لوسائل التواصل الاجتماعي، إذ أشار مدير حملة أوباما جيم ميسينا، إلى أن أهداف الحزب كانت –منذ اليوم الأول– لتعبئة

22- "Obama: First Moves", Stratfor, 24-November-2008, <https://worldview.stratfor.com/article/obama-first-moves>, [Accessed 17-October-2018].
23- "Democrats and a Policy Dilemma", Stratfor, 9-June-2006, <https://worldview.stratfor.com/article/democrats-and-policy-dilemma>, [Accessed 17-October-2018].

الدعم على مستوى القاعدة، وكان أول شيء فعله الفريق هو تحديد جدوى الطرق التقليدية لجمع البيانات والحصول على الدعم[24]. وأشار ميسينا إلى أن طرق الاقتراع التقليدية (من خلال الخطوط الأرضية) قد فشلت في كثير من الأحيان في الوصول إلى الشباب أو الناخبين من الأقليات؛ لذلك وظّف الفريق أفراداً لديهم خبرة في التسويق الحديث؛ مما سمح لهم ببناء طرق مبتكرة للمساعدة في زيادة الدعم[25].

استخدمت الحملة أيضاً أساليبَ مبتكرة لجمع البيانات كانت تعطي بيانات أكثر دقة عن الولايات المتأرجحة، وسمحت للحملة بإرسال رسائل إلكترونية ورسائل أكثر دقة وأكثر تخصصاً للمساعدة في استثمار الاهتمام. واللافت للنظر هنا هو أن وسائل التواصل الاجتماعي قد أصبحت قوة فاعلة جداً. وقد أعطى إدراك هذه التحولات واستخدام تحليلات أكثر دقة حملة أوباما بعض المكاسب المفاجئة، مثلما حدث في ولاية أيوا[26].

وشجعت الحملة المتطوعين على إضافة لمساتهم الشخصية إلى الحملة؛ مما سمح لهم بالاستحواذ على الحملة، مع السماح لهم بالوصول إلى الناخبين بطريقة لا يمكن أن تصل إليها حملة اعتيادية من الأعلى إلى الأسفل. ساعدت تلك اللمسات الشخصية –في بعض الأحيان– في إنشاء فصول أو مواثيق ديمقراطية محلية، وأنها كانت –في أوقات أخرى– أكثر تركيزاً على الحرص أن تكون مستدامة أكثر من كونها معلوماتية؛ أدى كل ذلك إلى زيادة شعبية أوباما على حساب جون ماكين[27]، وتمكنت بذلك حملة أوباما من جمع مزيد من الأموال أكثر من أي مرشح رئاسي آخر[28].

ومن اللافت للنظر أن فشل الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 2016 يمكن ربطه بالعوامل نفسها التي أدت إلى تحقيق الفوز بانتخابات عام 2008. وبدا أن الحزب قد بدأ –في

24- Gibson, Ginger. “Messina touts grassroots strength”, Politico, 20-November-2012, <https://www.politico.com/story/2012/11/messina-obama-built-biggest-grassroots-campaign-084080>, [Accessed 17-October-2018]

25– المصدر السابق.

26- Colvile, Robert. “Barack Obama’s grassroots campaign was unprecedented”, The Telegraph, 6-November-2008, <https://www.telegraph.co.uk/comment/personal-view/3563300/Barack-Obamas-grassroots-campaign-was-unprecedented.html>, [Accessed 17-October-2018]

27– المصدر السابق.

28- Judis, John. “Money Talks: John McCain’s Floundering Presidential Campaign”, Carnegie Endowment for International Peace, 6-July-2007, <https://carnegieendowment.org/2007/07/06/money-talks-john-mccain-s-floundering-presidential-campaign-pub-19425>, [Accessed 17-October-2018

غضون السنوات الثمان- وكأنه فاقد للتواصل مع «الرجل الاعتيادي common man»، فضلاً عن افتراضه أن الديموغرافيا كانت إلى جانبه، وأن المرشح المنافس دونالد ترامب يفتقر إلى المصداقية[29]. وعانى الحزب من انقسامات أكثر حدة خلال مؤتمر الحزب الديمقراطي لعام 2016، إذ كان هامش الفوز لهيلاري كلينتون بنسبة 59 % قريباً جداً من منافسها بيرني ساندرز، وهو ما عُدَّ مؤشراً على عدم قدرة كلينتون على جذب ناخبي ساندرز المترددين إلى جانبها؛ وهذا الأمر دليل على أنه لن يكون من المضمون أن تشارك المعارضة الضعيفة أو غير الجذابة في انتصار حزب ما؛ مما يسلط الضوء بنحو أكبر على أسباب نجاح حزب العدالة والتنمية التركي، وحزب الجمهورية إلى الأمام الفرنسي، والحزب الديمقراطي الأمريكي لعام 2008.

الخلاصة

يبين تحليل حزب العدالة والتنمية، وحزب الجمهورية إلى الأمام، والحزب الديمقراطي عدداً من النقاط المشتركة، ففي جميع الحالات الثلاث، كانت الأحزاب الفائزة تحل محل الأحزاب أو النظام الذي فقد الدعم واسع النطاق، وأتباعه مصابون بخيبة أمل. وقد تم في بعض الأحيان البناء على شبكات دعم (كما في الحزب الديمقراطي وحزب العدالة والتنمية)؛ لتنقيح الرسالة والمساعدة في التواصل مع الناخبين، في حين تم في أحيان أخرى بناء الدعم من الألف إلى الياء، مثل حزب الجمهورية إلى الأمام عن طريق شبكة واسعة تعمل بالتوازي مع إظهار المشاعر القومية. ويمكن القول عموماً إن كل قادة تلك الأحزاب كانوا قادرين على فهم المشاعر السائدة والاستفادة من الرغبات والمظالم.

والجدير بالذكر أن هذه الأساليب تتغاير من الناحية المباشراتية، فقد كان حزب العدالة والتنمية نظاماً من الأعلى إلى الأسفل، ولكنه أنشأ نظاماً رأسمالياً كبيراً من الأسفل إلى الأعلى، فيما بدأ حزب الجمهورية إلى الأمام مسيرته كحزب من الأعلى إلى الأسفل، لكنه انفتح لاحقاً من الأسفل إلى الأعلى. أما الحزب الديمقراطي فقد جمع بين النهجين. ويبدو في الختام أن العامل X يعني أن جميع هذه الأحزاب كانت قادرة على تقديم صورة إيجابية متناغمة مع المستقبل، وهي صورة يتردد صداها في أوساط الناخبين، وتتعامل في الوقت نفسه مع مظالم الماضي.

29- Judis, John. “Democrats Are in More Trouble Than They Think”, Carnegie Endowment for International Peace, 14-January-2016, <https://carnegieendowment.org/2016/01/14/democrats-are-in-more-trouble-than-they-think-pub-62483>, [Accessed 17-October-2018]